﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤﴾ [الطّور: 9 - 14]

❁ مناسبةُ الآيات لما قَبْلَها:

بيان زمن العذاب بعد التّأكيد على وقوعه

لمّا أقسم النّظمُ الجليل بالمذكورات آنفًا على وقوع العذاب وأكّد تحقُّقَه؛ أتبَعَهُ ببيان وقتِ وقوعه، فبعدَ إثبات العذاب تتشوّف النّفس المؤمنةُ إلى معرفة أجله وزمانه، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ لبيان ذلك[1]. ومنها: لمّا ذَكَر في الآية السّابقة أنّ العذاب واقع على المُكَذّبين، وأنّهم لا يستطيعون دفْعَه؛ بيّن في هذه الآيات ما يصاحب وقوعَه في يوم القيامة من مَوْر السّماء وتسيير الجبال.

❁ شرحُ المفردات:

1) ﴿تَمُورُ﴾: (مَوَرَ) أصلُه يدلُّ على تَرَدُّدٍ[2]. والمَوْرُ: المَوْجُ، وهو مصدر مار يمور، وهو الشّيء يَتَرَدَّدُ[3]، ومار يَمور مَوْرًا، إذا جَعل يَذهب ويَجيء ويَتردَّد، وسُمّي الطَّريق: مَوْرًا، لأنّه يُذْهَب فيه ويُجاء[4]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾، أي: تدور دورانًا، وتجيء وتذهب، من مار الدّمُ يمور: إذا جرى وتردّد على وجه الأرض. ومار الشّيءُ: اضطرب[5]. والمراد به في الآية الكريمة: "تذهب وتجيء بالرّياح متقطّعة متفتّتة"[6].

2) ﴿خَوْضٍ﴾: (خوض) أصلٌ يدلّ على توسّط شيءٍ ودخول[7].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 9.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مور).
(3) الخليل، العين: (مور).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (مور).
(5) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (مور).
(6) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 187.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خوض).

وخاضَ الماءَ يَخوضه خَوْضًا: مَشَى فيهِ[1]، وأخضت في الماء دابَّتي، وأخاضَ القومُ، أي: خاضَت خيلُهم الماءَ[2]. والخَوْضُ: هو الشّروع في الماء والمرور فيه.ويُستعار في الأمور، وأكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يُذَمّ الشّروع فيه، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ﴾ [التّوبة: 65][3]. وتخاوضوا في الحديث والأمر، أي: تفاوضوا وتداخل كلامُهم[4]. والمراد به في الآية الكريمة: التّخبّط في الأباطيل[5].

3) ﴿يُدَعُّونَ﴾: (دعّ) وأصله يدلّ على حركة ودفع واضطراب[6]. والدَّعُّ: دَفع في جفوة. وفي التّنزيل العزيز: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ [الماعون: 2] أي: يَعْنُفُ به عُنْفًا شديدًا دَفعًا وانتهارًا، أي: يَدْفَعُه حقَّه وصِلَتَهَ[7]. ودَعَّه: دَفَعَه دَفْعًا عنيفًا[8]، فهو الدّفع الشّديد، وأصله أن يقال للعاثر: دع دع، كما يقال له: لعا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[9]. والمراد به في الآية الكريمة: يُدْفَعون دفعًا عنيفًا بجفوة وغلظة[10].

❁ المعنى الإجماليُّ:

من مشاهد التّغيير في عالم الأكوان يومَ القيامة

يبيّن النّظمُ الجليل في هذه الآيات بعضَ مشاهد يومِ القيامة وقتَ وقوعِ العذاب وزمانَ حلولِه، فيقول تعالى: إنّ العذاب واقع يوم تتحرّك السّماء فتضطرب ويختلُّ نظامُها وتضطرب أجزاؤها، وتزول الجبال عن أماكنها، وتسير كسير السّحاب. فإذا وقع ذلك العذابُ

(1) ابن منظور، لسان العرب: (خوض).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (خوض).
(3) الرّاغب، المفردات: (خوض).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خوض).
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 187.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دعّ).
(7) الخليل، العين: (دعّ).
(8) ابن منظور، لسان العرب: (دعع).
(9) الرّاغب، المفردات: (دعّ).
(10) البقاعيّ، نظم الدرر: 19/ 10.

فالويلُ والهلاكُ للمُكذِّبين بالرّسل وباليوم الآخر، الذين ينغمسون في الأباطيل والأكاذيب، لاعبين لاهين منشغلين عن الحقّ المبين، فلا يذكرون حسابًا، ولا يخافون عقابًا، في ذلك اليوم سيُدفعون بعُنف ومهانة، ويُساقون إلى نار جهنّم بغِلْظة وجفاء، فإذا دَنَوا منها ورأوها شاخصةً أمامَهم تقول لهم خزنتُها تقريعًا وتوبيخًا: هذه النّار التي تشاهدونها هي التي كنتم بها تكذّبون في الدّنيا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

نُكْتَةُ فصلِ الآية عن سابقتها:

وقتُ العذاب تتطلّع النّفوسُ إلى معرفة زمن وقوعه

فصل النّظمُ الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾؛ لأنّها مستأنَفةٌ سيقت لبيان زمان وقوع العذاب، وكيفيّة وقوعه، فإنّ إثباتَ وقوعِ العذاب يثير النّفوسَ لمعرفة وقته؛ فكأنّ سائلًا سأل، فجيء بالجملة لبيان ذلك[2].

دلالة التّعبير بالظّرفيّة ﴿يَوْمَ﴾:

يُعبّر به عن المدّة من الزّمان أيًّا كانت هذه المدّة

عبّر القرآنُ الكريم عن زمن وقوع هذه الأحداث بلفظ ﴿يَوْمَ﴾، مع أنّه يُطلَق في الدّنيا على وقت طلوع الشّمس إلى غروبها؛ أمّا في الآخرة فالزّمن مختلف، فيُعبَّر به عن المُدّة من الزّمان أيًّا كانت هذه المُدّة دونَ نظرٍ إلى طلوع الشّمس وغروبها، لعدم وجود ذلك في أحداث يوم القيامة، والبعض يُسمّي ذلك باليوم الكونيّ؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجّ: 47].

دلالة التّعبير بـ﴿تَمُورُ﴾ مادّة وصيغة:

من مشاهد يوم القيامة اضطرابُ السّماء ودورانُها

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ (المَور) في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ دونَ غيره كالحركة، لوصف حالتها يوم القيامة، فهي في حركة اضطراب ودوران، فهي تتكفّأ تَكَفُّؤَ السّفينة، وتدور

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 51، 52، وجماعة من العلماء، التّفسير الميسر: 1/ 523.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 9.

دورانَ الرّحى، وتختلف أجزاؤها ببعضها[1]، ولمّا كان لفظُ المَور يجمع هذه المعاني كلّها، فهو يدلّ على الذّهاب والمَجيء والتّردّد والدّوران والاضطراب[2] - كان هو الأنسب للتّعبير بها. وجيء به فعلًا مضارعًا تصويرًا للمشهد في تجدّده وتَكَرّرِه، واستحضارًا لهول الصّورة التي عليها السّماءُ في هذه الحالة.

سرّ التّعبير بالسّماء مفردًا:

عبّر القرآنُ الكريم بلفظ ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ مفردًا في قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ﴾ دون الجمع إمّا لأنّ المراد بها الجنسُ، أو يكون المرادُ السماءَ الأولى المعهودة للبشر، التي كانوا ينظرون إليها ويرونها محكمةً بديعة مرفوعة بلا عُمُد؛ إذ بها بين أعينهم تضطرب وتتحرّك، وكلّ ذلك من باب تهويل المشهد.

دلالة التّأكيد بقوله: ﴿مَوْرًا﴾:

مور السّماء ودورانُها حقيقيٌّ مؤكَّد

أكّد النّظمُ الجليل المورَ بالمفعول المطلق في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾؛ للإيذان بغرابته وخروجه عنِ الحدودِ المعهودةِ، أي: مورًا عجيبًا لا يُدْرَكُ كُنْهُه[3]. كما أنّه يرفع المجاز، ويُثبت الحقيقة، أي: إنّه مورٌ واضطراب حقيقيّ[4]. وفائدة التّأكيد كذلك الدّلالةُ على شدّة المَور وقوّةِ الاضطراب[5].

سرّ البَدْء بمَور السّماء قبل تسيير الجبال:

العالَمُ العُلويّ مُقدّم على العالَم الأرضيّ؛ لجسامة الأحداث فيه

جاء التّرتيب القرآنيُّ بتقديم مور السّماء على تسيير الجبال؛ لأنّ مور السّماء يتعلّق بالعالَم العُلْويّ، وتسيير الجبال بالعالم الأرضيّ، والعالَمُ العُلْويّ مُقدّمٌ على العالَم الأرضيّ؛ لجسامة الأحداث فيه،

(1) الخازن، لباب التّأويل: 4/ 199.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 9.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 147.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 42.
(5) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 112.

ولأنّ مور السّماء من المشاهد التي تقع قبلَ الحشر؛ فالتّخويف به ظاهر وواقع.

بلاغة جناس الاشتقاق:

تأكيدُ المعنى وتوكيدُه، وإبراز ظهوره

في هاتين الآيتين: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ جناس اشتقاق بين: ﴿تَمُورُ﴾ و﴿مَوْرًا﴾، و﴿وَتَسِيرُ﴾ و﴿سَيْرًا﴾، والغرض من ذلك تأكيدُ المعنى وتوكيدُه، وإبراز ظهوره.

دلالة الواو في قوله: ﴿وَتَسِيرُ﴾:

مور السّماء وسير الجبال من مشاهد يوم القيامة

عطف النّظمُ الجليل السّيرَ على المور في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾، فبعدَ بيانِ حال السّماء يومَ القيامة، أتبعه ببيان حال الجبال، فالسّماء تتحرّك وتضطرب، والجبال تنتقل من أماكنها، فتصير هباءً منثورًا[1]، وكأنّ الله تعالى يقول للمُعذَّبين: هذا العذابُ ليس له من دافعٌ في ذلك اليوم الذي تمور فيه السّماء في أعينكم، والجبال تسير تحتَ أرجلكم وأمامَ أعينكم.

دلالة التّعبير بالسّير مادّةً وصيغةً:

الجبال تنتقل من أماكنها انتقالَ السّحابِ في جوّ السّماء

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ السّير في قوله جلّ شأنه: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ دون غيره كالحركة؛ للدّلالة على حالة الجبال يومَ القيامة، فهي تتحرّك وتنتقل من أماكنها انتقالَ السّحاب حتّى تصير هباءً منثورًا، وتكون الأرض قاعًا صفصفًا[2]؛ بخلاف الحركة أو المشي فإنّهما لا يؤدّيان هذا المعنى؛ لسرعة السير وعدم توقُّفه. ولأنّ الحركة قد تكون موقوتة وتكون بطيئة، وهذا غير مراد في المشهد. وعبّر عن ذلك بالفعل المضارع تصويرًا للحالة التي يكون عليها النّاس في إدراك سير الجبال الرّواسي، التي كانت أوتادًا للأرض، واستجلابًا للصّورة.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 147، والدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 279.
(2) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 112.

دلالة (أل) في ﴿ٱلۡجِبَالُ﴾:

كلّ الجبال صغيرُها وكبيرُها تسير فتزول

عرّف النّظمُ الجليل لفظَ الجبال بالألف واللّام في قوله جلّ شأنه: ﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا﴾، وهي هنا لتعريف الجنس، أي: جنس الجبال، فالحُكم عامٌّ في كلّ جبل، وليس المراد جبالًا بعينها.

بلاغة المجاز في إسناد السّير إلى ﴿ٱلۡجِبَالُ﴾:

طاعة الجبال وامتثالُها لأمره تعالى

تظهر بلاغةُ المجاز في إسناد السّير إلى ﴿ٱلۡجِبَالُ﴾، ومن المعلوم أنّ الجبال لا تسير بنفسها، فإسنادُ السّير لها في قوله جلّ شأنه: ﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا﴾ هو إسناد مجازيّ؛ إذِ المُسَيِّر لها هو الله تعالى، يُؤكّد ذلك قولُه: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ﴾ [الكهف: 47]، ويكون إسنادُ السّير إليها إيماءً إلى شدّته وقوّته، بحيثُ إنّها تسير بنفسها، كما أنّه تعبيرٌ عن طاعتها، وامتثالها للأمر.

نُكْتَةُ توكيد فعل السّير:

سير الجبال وزوالُها مؤكّد

أكّد النّظمُ الجليل السّيرَ بالمفعول المطلق في قوله جلّ شأنه: ﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا﴾؛ للدّلالة على أنّه سير عجيب غريب، غيرُ مألوف، فقد تفتّتت وتلاشت أجزاؤها، ولم يبقَ من عظمتها المعهودة شيءٌ، وتصير الأرض قاعًا صَفْصَفًا[1]. وللدّلالة كذلك على أنّ المرادَ الحقيقةُ لا المجاز، فهو سير وانتقال حقيقيّ[2].

سرّ ذِكْر مورِ السّماء وسيرِ الجبال:

لا رجوعَ ولا عودَ إلى الدّنيا لخرابها

آثَر القرآنُ الكريم ذِكْرَ مورِ السّماء وسيرِ الجبال دونَ غيرهما من مشاهد أحداث القيامة؛ للإعلام والإنذار بأنّه لا رجوعَ ولا عودَ إلى الدّنيا لخرابها، وفي ذلك دعوة للمؤمنين إلى العمل لإعمار الآخرة قبل فوات الأوان[3].

(1) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 357.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 42.
(3) القنوجيّ، فتح البيان: 13/ 220.

دلالة الفاء في ﴿فَوَيۡلٌ﴾:

وقـوع العـذاب مُسبِّبٌ للويل والهلاك

افتتح النّظمُ الجليل الجملة بالفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَوَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ وهي هنا عاطفةٌ جملةَ الويلِ على جملة: ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا﴾، وجيء بها للدّلالة على السّببيّة، فلمّا ذكر وقتَ العذاب أتبَعهُ ببيان أهله ومستحقّيه، وسبّب عنه الويلَ والهلاك لهم[1]. كما أنّها مشعِرةٌ بأن الويل يقع على الفور بعد وقوع العذاب. وأجاز بعض أئمّة التّفسير أن تكون رابطة للجواب بشرط محذوف، وتقدير الكلام: إذا وقع ما ذُكِر من مور السّماء وسير الجبال فويلٌ لهم[2]. ففي الكلام معنى الشّرط والمجازاة فلذا دخلت الفاء لربط الكلام، فويلُ الكافرين متعلّقٌ بوقوع المور وسير الجبال، فإذا وقع ذلك تحقّق الويلُ للكافرين[3].

دلالة التّعبير بالويل وتنكيره:

هـلاكٌ عظيم وفـاجـعـةٌ للمُكَذِّبينَ يومَ القيامة

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ الويل في قوله جلّ شأنه: ﴿فَوَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾؛ للدّلالة على وقوع الكافرين في هلكة شديدة، بحيثُ يقال تفجّعًا عليهم: ويلٌ لهم، فالويل لفظةٌ تُقال لمن وقع في الهلاك، وهي تدلّ على وقوع شرّ عظيم، وتدلّ على التّفجّع[4]. وقد آثر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عنه بصيغة التّنكير؛ للدّلالة على التّعظيم والتّهويل، أي: ويلٌ عظيم لهم، وعذابٌ شديد[5].

نُكْتَةُ تقديمِ الظّرف على المسنَد:

تقديم المقصود بالخطاب تنبيهٌ على الاستحقاق

قدّم النّظمُ الجليل الظّرفَ على المسنَد في قوله جلّ شأنه: ﴿فَوَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾، فلم يقل: (فويلٌ للمكذّبين يومئذٍ)؛ لأنّ السّياق في

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 187، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 10.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 241.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 115.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 10.
(5) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 357.

بيان اليوم وشدّته، ووقتِ العذاب وزمانه، فهو المقصود الأوّل في سياق الكلام. كما أنّ تقديمه لاستحضار ما سبق ذِكْره أي: يومئذٍ يكون ما تقدّم ذِكْره من الأهوال[1]. فيدلّ على أنّ تلك الأهوالَ مصحوبةٌ بالويل، فجمعَ الأهوالَ كلَّها قبلَ أن يُبيّن مستحقّيها، وهم المُكذِّبون.

دلالة اللّام في ﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾:

أهـلُ التّكذيب مُستحقّون للعذاب

عبّر النّظمُ البليغ بحرف الجرّ (اللّام) في قوله جلّ شأنه: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، وهي هنا للاختصاص والاستحقاق[2]. فالويلُ خاصّ بهم ومُسْتَحَقٌّ لهم دونَ غيرهم، وفي هذا إشارةٌ إلى أنّ أهل التّصديق ينعمون بالجنّات، في مقابلة الويل والهلاك للمُكَذّبين.

نُكْتَةُ التّعبير بالتّكذيب:

تكذيب الصّادق والإصرار عليه من سمات الكافرين

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ التّكذيب في قوله جلّ شأنه: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، وذلك لدلالة التّكذيب على النّسبة إلى الكذب، فهو تكذيب للصّادق كما في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [آل عمران: 11][3]؛ فكلُّ تكذيب فيه كَذِبٌ.

دلالة التّعبير باسم الفاعل ﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾:

أهل الكفر عريقون في الكَذِب والتّكذيب

جاء التّعبيرُ باسم الفاعل من التّفعيل؛ للدّلالة على عراقتهم في التّكذيب الشّديد البليغ، ولم يتوبوا منه، وماتوا وهم متلبّسون بهذه الصّفة من تكذيب الرّسل وأهلِ الصّدق، وماتوا على ذلك التّكذيب[4]. وفيه دلالةٌ على كثرة كَذِبهم، فهم قد كذّبوا بالرّسل، وبالرّسالات، وبالآخرة والحساب[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 10.
(2) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّري: 27/ 41.
(3) الرّاغب، المفردات: (كذب).
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 10.
(5) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّريّ: 27/ 41.

سرّ التّعبير بالمُكذّبين دونَ الكافرين:

الوصف بالتّكذيب يجمع معه صفةَ الكفر

آثَر القرآنُ الكريم التّعبير بالمُكذّبين؛ لأنّه يجمع معه صفةَ الكفر؛ فما وُصِفَ الكافرُ بكفره إلّا لأنّه كذّب بما جاءت به الرّسل، وهناك آياتٌ كثيرة في القرآن جمعت بين الكفر والتّكذيب؛ للدّلالة على وجود تلازمٍ بينهما، ولاسيما في أمر الإيمان بالله ورسوله.

سرّ التّعبير بـ (المُكذّبين) دون (الذين كذّبوا):

رسوخ أهل الكفر في صفة التّكذيب

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالمُكذّبين في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ دون (الذين كَذَّبوا)؛ للدّلالة على رسوخهم في صفة التّكذيب، وأنّه صار طبيعةً من طبائعهم لا تنفكّ عنهم؛ لأنّ التّعبير بالاسميّة يفيد الثّبوت والاستمرار.

سرّ حذفِ متعلّق التّكذيب:

دلالة السّياق على عموم تكذيبهم لكلّ ما جاء به الرّسول

حذف النّظمُ الجليل متعلّقَ التّكذيب في قوله جلّ شأنه: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ وذلك لدلالة السّياق عليه، أي: الذين يكذّبون بما جاءهم به النّبيُّ ﷺ من التّوحيد، والبعث، والوحي عامّة[1]. فالحذفُ يدلّ على شمول التّكذيب، فيتناول التّهديدُ والوعيدُ مكذّبَ أيّ شيءٍ من ذلكم، فمن كذّب شيئًا من تلك الدّعوة، فهو مكذّب مستحقٌّ للوعيد والويل.

دلالة التّعبير بالاسم الموصول:

تحقير المُكذّبين بسوء ما كسبت أيديهم

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالموصول في قوله جلّ شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾؛ لذمّهم بما اقترفوا، وتحقيرهم بما فعلوا[2]، وذلك بما تضمّنته صلةُ الموصولِ من وصفهم بالخوض واللّعب؛ فليس المُراد من الموصول تخصيصَ المُكذّبين وتمييزَهم، وإنّما هو للذّمّ[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 42.
(2) محمّد الهلال، تفسير القرآن النّريّ: 27/ 42.
(3) إسماعيل حقّي، روح البيان: 9/ 189.

دلالة التّعبير بحرف الظّرفيّة:

إيغالُهم في الخوض حتّى صار محيطًا بهم

عبّر النّظمُ البليغ بحرف الجرّ ﴿فِي﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ﴾ الدّالّ على الظّرفيّة المجازيّة؛ لأنّه يدلّ على شدّة الملابسة، كملابسة الظّرف لما وقع فيه، أي: الذين تمكّن منهم الخوضُ حتّى كأنّه أحاط بهم[1]، فلم يقل: (الذين يخوضون)؛ لأنّهم لشِدّة خوضهم في الأباطيل صاروا منغمسين فيها، وكأنّ الخوض حيّزٌ قد أحاط بهم لا ينفكّون عنه.

بلاغة المجاز في التّعبير بالخوض:

وُلوجُهمُ الباطلَ واندفاعهم فيه

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ الخوض في قوله جلّ شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ﴾، وهو في الأصل أن يكون في الماء، وأُطلِق مجازًا على التّخبّط في الباطل[2]، تشبيهًا لحالهم في الاندفاع في الباطل والولوج فيه بحال من يخوض في الماء لا يعرف أين يضع رجله[3]، تعبيرًا عن جهلهم وجُرأتهم في التّعاطي مع الحقّ بدون علمٍ، والتّعجّل بتكذيب الصّادقين.

نُكتَةُ تنكير ﴿خَوۡضٖ﴾:

كثرة كثرةُ انغماسِهم في الأباطيل والأكاذيب

آثر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن الخوض بصيغة التّنكير في قوله تعالى: ﴿فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ﴾؛ للدّلالة على التّعجُّب من شدّة اندفاعهم في الباطل، أي: هم في اندفاع وانغماس عجيبَين في الباطل والضّلال[4]. وفيه إشارةٌ إلى أنّهم لا يتركون مجالًا يمكن أن يخوضوا فيه إلّا خاضوا، فلا يَرْعَوون من سلوكهم هذا المسلكَ في آيات الله وكُتبِه، أو في أمر نبيّه ﷺ بالتّكذيب والاستهزاء، ويساعد على ذلك أنّ لفظ الخوض لفظٌ عامٌّ، فإنّه يصلح للخوض في كلّ شيء، إلّا أنّه غلب في الخوض في الباطل[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 42.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 187.
(3) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 383، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 10.
(4) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 51.
(5) القنوجيّ، فتح البيان: 13/ 221.

دلالة التّعبير باللّعب مادّةً وصيغةً:

التّشاغل عن الحقّ دأبُ المُكذِّبين الخائضين في الأباطيل

عبّر النّظمُ الكريم باللّعب في قوله جلّ شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ﴾؛ لدلالة اللّعب على فعلٍ ما لا فائدة فيه[1]. فعبّر به إشارةً إلى أنّهم يلهون ويتشاغلون بخوضهم وكفرهم، بما لا ينفعهم في الدّنيا والآخرة[2]، وفيه إشارةٌ إلى استهزائهم بالشّرائع السّماويّة وبمَن أُنزلت عليهم على وجه العموم. ويجوز أن يكون المراد على وجه الخصوص بفعل المشركين مع رسول الله ﷺ. وجاء التّعبير بالفعل المضارع للدّلالة على تجدُّد لَعِبِهم، وهو يبيّن حالهم الدّائم[3].

نُكْتَةُ فصل قوله: ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ﴾:

الدّفع العنيف إلى النّار جزءٌ من أهوال المحشر

فصل النّظمُ الجليل قولَه جلّ شأنه: ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ عمّا قبلَها لكمال اتصّالها بها؛ فهي بدل اشتمال[4] من قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا﴾؛ لأنّ دفعهم بعنفٍ وغِلظةٍ إلى النّار هو جُزءٌ من أهوال ذلك اليوم.

دلالة التّعبير بالدّعّ في ﴿يُدَعُّونَ﴾:

الكافر يدخل النّار بدفعٍ غليظٍ وتعنيفٍ بليغٍ

عبّر النّظمُ الجليل بالدّعّ في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾؛ للدّلالة على كيفيّة إدخالهم النّارَ، فهم يُدفعون دفعًا بعنف وغلظة، فإنّ "خزنة النّار يَغُلّون أيديَهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيَهم إلى أقدامهم، ويدفعونهم إلى النّار دفعًا على وجوههم"[5]. فدلّ على الزّجر والعنف المُفرِط في الدّخول مع القيد بالسّلاسل والأغلال[6]. ومن بلاغة التّعبير بـ (الدّعّ) في قوله: ﴿يُدَعُّونَ﴾ أنّ البُنية اللّغويّة تصوّر حركةَ الدّفع بهم إلى جهنّم؛ فالتّشديد الموجود

(1) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (لعب).
(2) إسماعيل حقّي، روح البيان: 9/ 189.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 42.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 43.
(5) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 383.
(6) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 357.

في الفعل ﴿يُدَعُّونَ﴾ يصوّر حالةَ الشِّدّة التي يكونون عليها، وهم يُدفَعون إلى جهنّم، وفيها تصوير لحالتهم وهم يحاولون التّراجع عنها، وخزنة جهنّم تدفع بهم دفعًا إليها.

نُكْتَة تعديةِ فعلِ الدّعّ بـ﴿إِلَىٰ﴾:

منتهى دفعِهم بلوغُهمُ النّارَ

عدّى النّظمُ الجليل الفعلَ بحرف الغاية في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾؛ وذلك للدّلالة على أنّ منتهى دفعهم هو النّار، أي: إنّهم مع دفعهم بجَفوة وغِلْظة فإنّهم ذاهبون بهذا الدّفع إلى النّار ومنتهون إليها[1].

دلالة تقييد الدّعّ بشِبه الجملة:

غـايـة الـدّعّ إلـقـاؤهـم في جهنّم

قيّد النّظمُ الجليل الدّعّ بشِبه الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ﴾؛ وذلك للتّصريح بالنّهاية للدّعّ، فينتهي الدّفعُ العنيف الغليظ بأن يدخلوا النّار، فهم ذاهبون إليها مع المهانة والجفاء، فشِبهُ الجملة تبيّن الغايةَ بعد الدّفع الغليظ.

نُكْتَةُ توكيد فعل الدّعّ بالمفعول المُطْلَق:

شـدّةُ دفعِهم وطـرحـهـم في جهنّم

أكّد النّظمُ الجليل الدّعّ بالمفعول المطلق في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾؛ للدّلالة على شدّة الطّرح والدّفع، كما أنّه يدلّ على تعظيم هذا الدّفع وتصويره، وهم يُدْفَعون إلى النّار دفعًا عنيفًا شديدًا، بعد أن غُلّت أيديهم إلى أعناقهم، وجُمِعت نواصيهم إلى أقدامهم؛ ثمّ يُدفَعون إلى جَهنَّمَ دَفًّا على وجوههم، مع تصوير صورتهم عندما تسوقهم خزنةُ جهنّم إلى النّار، وهم يحاولون البُعْدَ عنها، كما يُساق المجرمُ إلى محبسه.

بلاغة جناس الاشتقاق في ﴿يُدَعُّونَ﴾ ﴿دَعًّا﴾:

جمع النّظمُ الجليل لفظين مشتّقين من مادّة واحدة، وهي

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 10.

(الدّعّ) في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾، على طريقة الجناس الاشتقاقيّ، وهما ﴿يُدَعُّونَ﴾ و﴿دَعًّا﴾، وذلك للتّنبيه على المعنى الذي يُؤدّيانه، وهو الدّفع العنيف، فدلّ تأكيدُه بالمفعول المطلق، مع الجمع بين الفعل والمصدر من مادّة واحدة - على شدّة التّعنيف بالدّفع. مع ما في اللّفظ من جماليّة في الصّوت، تُصَوِّر شدّةَ الدّفع من الخَلْف ومحاولةَ التّراجع إلى الوراء، فتُنْتِجُ هذه الحالةُ صوتًا يخرج من حلقه كأنّه يقول: (أع) من هول ما أصابه.

تكرير لفظ الإذلال تنبيهٌ على سوء المصير

نُكْتَةُ فصلِ جملة ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ﴾:

فصل النّظمُ الجليل جملةَ: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؛ لأنّها مستأنفة لبيان ما يقال لهم أثناءَ رؤيتِهم النّارَ، أي يقال لهم: هذه النّارُ التي أخبركم عنها الرّسلُ، وذلك على جهة التّوبيخ والتّقريع[1].

استقبال الدّاخلين في النّار بالتّوبيخ والتّقريع

سرّ حذفِ القول في جملة ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ﴾:

جاء التّركيب القرآنيُّ بجملة ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ﴾ دون ذِكْرٍ للقول، وهو لازم لهذه المقولة؛ فتقدير الكلام يقال لهم: (هذه النار التي كنتم بها تكذبون)، ولم يُعيَّن القائلُ لإفادة العموم؛ فكلّ من رآهم سواء من الملائكة أو من غيرهم يقول لهم هذا القول، وفي هذا مزيدُ توبيخ وتقريع لهؤلاء المُعَذّبين، وفيه إشارة إلى أنّهم ليسوا أهلًا للتّكلّم معهم.

لم يُعيَّن القائلُ لإفادة العموم

دلالة التّعبير باسم الإشارة ﴿هَٰذِهِ﴾:

عبّر النّظمُ الجليل باسم الإشارة الدّالّ على القُرب في قوله جلّ شأنه: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؛ للإيماء إلى أنّهم قيل لهم ذلك، وهي قريبة منهم وقد بلغوها، وأنّهم مشرفون على شفاها[2]؛ فهو ترهيب وتخويف للمُكذّبين. وفي التّعبير به دعوةٌ

التّقريع والتّوبيخ مع رؤية النّار تغليظٌ على الكافرين

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 187.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 43.

للمُكذّبين إلى ورود النّار ونزولها، ليعلموا حقيقةَ أمرِها التي حُدِّثوا عنها في الدُّنيا، وكانوا يُكَذّبون بها، وفي هذا مزيدُ سخريةٍ واستهزاءٍ بهؤلاء المُكذّبين[1].

دلالة (أل) في ﴿ٱلنَّارُ﴾:

النّار التي يشاهدونها هي المعهودة، والتي حذّرهم منها الرّسلُ

عرّف النّظمُ الجليل النّار بالألف واللّام في قوله جلّ شأنه: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، وهي هنا للعهد، أي: النّار التي سبق التّخويفُ بها وهي نار جهنّم، فهي المُحرِقةُ المُهلِكة لما ورد فيها[2].

دلالة التّعبير باسم الموصول وصلته:

تنبيهُ المخاطَبين على فساد معتقدهم

عبّر النّظم الجليل باسم الموصول وصلته في قوله جلّ شأنه: ﴿ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، تنبيهًا للمخاطَبين على فساد معتقدهم، فقد كذّبوا بالعذاب واستهزؤوا به، وها هم يرونه عيانًا[3].

بلاغة الالتفات من الغَيبة إلى الخطاب:

بيان حال المخاطبة بين خزنة النّار والمكذّبين

التفت النّظمُ الجليل في الخطاب من الغَيبة إلى التّكلّم في قوله جلّ شأنه: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؛ لأنّه قول يقوله لهم خزنة النّار، أي يقال لهم: هذه النّارُ التي تشاهدونها الآن هي التي كنتم تكذّبون بها في الدّنيا[4]. فحكى النّظمُ ما يقع من الخطابُ بين خزنة النّار للذين يدخلونها بسبب تكذيبهم بها وإنكارهم لها. فالالتفاتُ لحكاية حالة المخاطبة تنزيلًا لهم منزلةَ مَن دخلها على التّحقيق، وفي هذا مزيدُ سخرية واستهزاء بهؤلاء الكفّار الذين كانوا يسخرون ممّن يحدّثهم عن النّار وعذابِها ولهيبها.

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ: 9/ 599.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 11.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 43.
(4) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 51، 52.

دلالة التّعبير بالتّأنيث ﴿ٱلَّتِى﴾:

جاء التّعبير بالتّأنيث في قوله: ﴿ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، مع أنّه ورد في سورة السّجدة ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠﴾ [السّجدة: 20]؛ فعبّر هنا بـ ﴿ٱلَّتِى﴾ مراعاةً لسياق الآية بذِكْر النّار، وهي مؤنثة؛ أمّا ما ورد في سورة السّجدة من التّذكير؛ فكان من باب التّناسب مع العذاب، وهو مُذَكّر[1].

مـراعـاةُ سياق الآية بذِكْر النّار مؤنّثة

نُكْتَةُ دخولِ فعلِ الكوْن:

عبّر النّظم الجليل بفعل الكون في قوله جلّ شأنه: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؛ للدّلالة على شدّة تكذيبهم واستمرارهم عليه، فهو تعبيرٌ عن رسوخهم في التّكذيب بكلّ ما جاءت به الرّسل، ولا سيما ما كان في شأن الزّجر والتّخويف بالنّار.

الإصـــرار على التّكذيب دَأْبٌ راســـــخٌ في الكافرين

دلالة التّعبير بالباء في قوله: ﴿بِهَا﴾:

عبّر النّظمُ البليغ بحرف (الباء) في قوله جلّ شأنه: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ وهي هنا للتّعدية، ويكون التّكذيب بمعنى الإنكار، فكذّب بالأمر، أي: أنكره[2]، فتكذيبُهم وقعَ على النّار إنكارًا لها.

الـكـافـر مُـكـذِّب بالنّار منكرٌ لها

نُكْتَةُ تقديمِ شبهِ الجملة ﴿بِهَا﴾:

قدّم النّظم الجليل شبهَ الجملة ﴿بِهَا﴾ على المسند في قوله جلّ شأنه: ﴿ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ فلم يقل: (تكذّبون بها)؛ وذلك للدّلالة على التّخصيص، فلمّا وقع تكذيبُهم على وجه الإصرار والمبالغة، وكان تكذيبُ النّار والجزاء سببًا للتّكذيب بالعذاب وما وراءَه، صار تكذيبُهم كأنّه مخصوص بالنّار: "ولمّا كان تكذيبهم بها في أقصى درجات التّكذيب، وكان سببًا لكلّ تكذيب، كان كأنّه مقصور عليه، فقال مُقدِّمًا للظّرف؛ إشارةً إلى ذلك"[3].

شـدّة إنكارهم لـلـنّـار كـأنّـه تَكْذيبٌ مقتصِر عليها

(1) ابن الزّبير، ملاك التّأويل، ص: 359.
(2) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (كذب).
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 11.

دلالة التّعبير بالتّكذيب مادّةً وصيغةً:

أهـل الـكـفـر لا يُـصَـدّقـون ما يـقـولُـه الـرّسـلُ لـهـم، وهـم مـسـتـمـرّون في تكذيبهم

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالتّكذيب دونَ غيره في قوله جلّ شأنه: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؛ لأنّهم كانوا لا يُصَدّقون ما يقوله الرّسل لهم. وعبّر بالمضارع للدّلالة على استمرارهم في التّكذيب وعدم التّصديق كلّما أخبروهم بما ينتظرهم من العذاب إن لم يؤمنوا بهم.

❁ الفروق المعجميّة:

الدّعُّ والدّفع:

الدّعّ أخصّ من الدّفع، فهو دفع عنيف بغِلظة وجفاء

الدّفع يدلّ على تَنْحيَةِ الشَّيْءِ[1]، والإزالة بِقوّةٍ[2]. أمّا الدَّعُّ فهو يدلّ على حركة ودفع واضطراب[3]. والدَّعُّ: دَفع في جفوة. وفي التّنزيل العزيز: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ [الماعون: 2]، أي: يَعْنُفُ به عُنْفًا شديدًا دَفعًا وانتهارًا، أي: يَدْفَعه حقَّه وصِلَتَهَ[4]. ودَعَّه: دَفَعَه دَفْعًا عنيفًا[5]، فالدّعّ هو الدّفع الشّديد[6]. وعبّر في الآية بالدّعّ للدّلالة على شدّة دفعهم وتعنيفهم، فهم يُدفعون دفعًا عنيفًا بجفوة وغِلظة[7].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دفع).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (دفع).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دعّ).
(4) الخليل، العين: (دعّ).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (دعع).
(6) الرّاغب، المفردات: (دعّ).
(7) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 10.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"